الأستاذة تاجي رمال

مفهوم التربية

إن التربية عملية ضرورية للإنسان في حياته الخاصة والعامة، باعتبارها سلسلة وشبكة متكاملة من القيم والأفعال والسلوكات الإيجابية، التي يُحدثها الكبار في الصغار بهدف تيسير وتسهيل إدماجهم في المجتمع، و مساعدتهم على تغيير أوضاعهم وتحسين أفعالهم قصد التمكن من مهارات الحياة، و كونها سبيلا يُيسر لهم التكيف مع محيطهم، وتحقيق التناغم مع بيئتهم التي من مواصفاتها وخصائصها وأسسها التطور المستمر.

يمكن القول ان مفهوم التربية من أكثر المصطلحات تداولا واستخداما وشيوعا بين الباحثين والدارسين والمتدخلين في العملية التربوية، لكن مع هذا فهو من أكثر المفاهيم استشكالا في التحديد والمقاربة والبيان والتعيين، حيث اختلفت التحديدات، وتعددت التعريفات وتباينت المقاربات لمصطلح التربية ، بحكم الامتداد التاريخي الطويل الذي مرت منه التربية من جهة، وبحكم تداخل عدد من العلوم وتواصلها مع هذا العلم الجديد المسمى بعلم التربية من جهة أخرى.

وانطلاقا من هذا السياق وعملا بهذا المبدأ، نقول في البداية إن تحديد المفاهيم والمصطلحات يُعد ضرورة منهجية في أي علم من العلوم، لأن المفاهيم والمصطلحات هي مفاتيح العلوم منها تتشكل الأدوات المعرفية التي بها يتم الولوج إلى المعارف والحقائق العلمية.

إن التربية في اللغة العربية من فعل ربا يربو بمعنى نما ينمو. و تربية الإنسان تعني تطور قواه النفسية والجسدية والعقلية والخلقية .(1)

وفي اللغة الفرنسية، التربية مشتقة من كلمة éducation وأصلها اللاتيني educāre التي تدل على القيادة والهيمنة والإخراج والتحول من حال إلى آخر، كما تعني العلم المُعين على إخراج الطفل من حالته الأولية التي كان عليها في البيت والأسرة ومساعدته على تحصيل الفضائل والقيم من المحيط القريب منه. (2)

كما عرفت التربية بعدة تعاريف منها:

تعريف روني اوبير:" مجموع التأثيرات والأفعال التي يمارسها بكيفية إرادية، كائن إنساني على آخر، غالبا ما يكون راشدا على شاب صغير، والتي تستهدف تكوين مختلف الاستعدادات التي تقوده إلى النضج والكمال".(3)

إميل دوركايم:"هي الفعل الذي تمارسه الأجيال الراشدة على الأجيال الصغيرة التي لم تصبح بعد للحياة الاجتماعية، وموضوعها إثارة و تنمية عدد من الاستعدادات الجسدية و الفكرية و الأخلاقية عند الطفل، و التي يتطلبها المجتمع السياسي في مجمله والوسط الخاص الذي يوجه إليه".(4)

والقصد من التربية عند دوركايم هو إدماج الفرد في المجتمع من أجل خدمة المجتمع الذي ينتمي إليه،فلا قيمة للتربية إن لم يتمكن الفرد من امتلاك مهارات الحياة ليواجه بها إكراهات الحياة وتقلباتها حتى يضمن استمراريته فيها.

تُعتبَر التربية من أهمّ العمليّات، وأكثرها حساسيّة، وقد اعتنى بها المُصلِحون الذين استطاعوا قيادة شعوبهم وأُمَمهم نحو النهضة والارتقاء؛ فالتربية من العمليّات التي لا يُمكِن التعامل معها دون تحديد أهدافها، ومن هنا فقد كان من الواجب تحديد الأهداف التربويّة، وتتلخَّص في ما يأتي: مراعاة حاجات الإنسان الأساسيّة، وطبيعته، والمقدرة على تعريفه بمكامن إبداعه، ونقاط قُوّته. مساعدة الإنسان في تحديد شَكْل العلاقة بينه وبين المُجتمَع، وما يرتبط به من عادات،

وتقاليد، وتراث، و الاهتمام بسلوك الفرد، وأخلاقه، وتعزيزها، وتطويرها، دون عزلها عن المُجتمَع؛ لأنّ النفس لا تنشأ إلّا في وسط المُجتمَع. تقوية القُوى العقليّة، و قُوى الإدراك التي تتمثَّل بمقدرة العقل، وإمكانيّاته في مجال التفكير، و تعلُّم مفاهيم و معارف جديدة . تقوية القُوى الوجدانيّة، و التركيز عليها؛ وهي نوع من القُوى التي تتحكَّم بالسلوك الإنسانيّ الداخليّ. إعطاء أهمّية كبيرة للقُوى الاجتماعيّة؛ وهي من أنواع القُوى التي تُنمّي الطفل حتى تجعل منه إنساناً اجتماعيّاً يتفاعل مع مَن حوله من البشر. تقوية و تنمية القُوى الجسديّة أو الجسمانيّة؛ وهي تتمثَّل بالقُوى و الإمكانيّات العُضويّة المُرتبِطة بالفِطرة، و التي وهبنا الله عز وجلّ إيّاها، ووَضَعَها في جسم الإنسان، كأجهزة الجسد من جهاز هضميّ، و عصبيّ، وصولاً الى الحواسّ الخمسة، كالبصر، و السَّمع، و الشمّ . التركيز على الجوانب الروحيّة، وتقويتها؛ وهي قُوىً تُوجَد داخل الفرد، بحيث تُوجِّهُه نحو الاهتمام بالعديد من الأمور الروحانيّة، والدينيّة، كعلاقة العبد بربّه. المقدرة على تحديد المهارات، والجوانب المعرفيّة، والعادات، والأهداف المُستقبَليّة، وغير ذلك ممّا يُراد تنميته في الإنسان، وتحسينه.

وتتلخَّص أهمِّية التربية في مجموعة من النقاط، هي: إزالة الفوارق بين طبقات المُجتمَع؛ من خلال التفاهُم والتعاوُن فيما بينها. تسهيل اكتساب اللغة؛ عن طريق الاختلاط والتفاعُل مع المُجتمَع. تحقيق النموّ العقليّ، والاجتماعيّ، ممّا يُؤدّي إلى اكتساب الخبرة. تجديد ثقافة المجتمع، وتطويرها، ونَقْلها عَبْر الأجيال المختلفة. تسهيل عمليّات التواصُل الأساسيّة، بين الكبير والصغير، وبين المُعلِّم والمُتعلِّم، وبين المُربّي والطفل.

إنّ التربية في جزء منها ذاتيّة؛ إذ يجب على كلّ فرد الاقتناع أوّلًا بأنّه قابل للتحسُّن، والتطوُّر، والتقدُّم نحو الأفضل، والابتعاد قَدْر الإمكان عن جوّ الإحباط، تحديداً إذا كان المُجتمَع يعاني من اليأس والإحباط الناتج عن الأوضاع السياسيّة، والاقتصاديّة، والاجتماعيّة المُتردِّيةِ، والتي تَعصِفُ به، وهذا اليأس قد يُؤدّي به الى حالة من فقدان الثقة، سواء بالنفس، أو بالآخرين، كما أنّ على الإنسان أن يكتشف مهاراته، ومُميّزاته، ويُنمّيها، فمتى ما انشغلَ الإنسان بما هو مفيد،

ابتعدَ في أغلب الأحوال عن الرذائل، والصغائر، وأصبح قريباً من الإنتاجيّة، والبَذْل، والعطاء، ممّا يُؤدّي الى تفجير ينابيع الخير في داخله إن أحسن النيّة، وأخلص في العمل.

هوامش :

[1] المعجم الموسوعي الجديد لعلوم التربية لأحمد اوزي :5.منشورات مجلة علوم التربية السنة:2016.

[2] dictionnaire actuel de ledu cation legendre:56-

[3] -التربية عبر التاريخ لعبد الله الدائم دار العلم للملايين بيروت لبنان: 1975.

[4]-إميل دوركايم عالم اجتماعي فرنسي هو الذي أرسى القواعد المنهجي والعلمية لعلم الاجتماع، وجعل الشأن التربوي جزءا لا يتجزأ من مشروعه العلمي السوسيولوجي.